ديكور الستديو المصطنع . بقي ان نذكر ان مخترع هذه الشاحنة الثورية الجديدة هو شاب عربي في السابعة والثلاثين اسمه فؤاد سعيد ، وكان قد هاجر الى الولايات المتحدة قبل اعوام . فهل لا يلمع نجم العربي الموهوب الا بعد ان يدير ظهره لوطنه ؟

الفيلم الذي نزمع انتاجه

بعد النظرية والمانيفستو ، يأتي دور العمل الذي يجب ان ينبع عن النظرية ، وينبثق من داخل اطار المانيفستو . فمأساة فلسطين هي كما ذكرنا سابقا، كتاب حي يبحث كابطال بيراندييللو في مسرحيته الشهيرة عمن يسجله سينمائيا . الا ان احدى القضايا التي يجابهها السينمائي العربي الملتزم في مطلع عمله الفلسطيني هي قضية انتقاء الموضوع الاصلح ، وتعيين الهدف . فالمأساة الفلسطينية غنية بالمواد الصالحة للشاشتين الكبيرة والصغيرة، حتى يكاد السينمائي يحير بأي حقبة من المأساة يبدأ ، وما هو الهدف الذي يجب ان يضعه نصب عينيه .

في الحقبة الاولى التي بدأت بوعد بلفور وانتهت بحرب ٤٨ ، تعتبر حياة الشهيد عبدالقادر الحسيني وقصة كفاحه التي تشكل فصلا كاملا في تاريخ القضية ، سيناريو جاهزا لا يحتاج الا لمن يصور احداثه التاريخية . وعن حرب ٤٨ بالذات ، توجد اقاصيص الدكتور عبدالسلام العجيلي التي يمكن نقلها الى فيلم جيد دون جهد كبير ، كما توجد رواية المؤلفة الارلندية ايثل مانين « الطريق الى بئر سبع » التي تنبأت فيها بظهور حركة المقاومة . وفي الحقبة الثالثة التي اندلعت فيها الثورة وحدثت بها معركة الكرامة ، يجد السينمائي امامه عشرات القصص الحقيقية ، حتى يقوى هنده الاغراء بأن يباشر عمله بقصة عن المقاومة لكي يزيل على الاقل من اذهان المشاهد العربي أثر الافلام التهريجية المقرفة التي اخرجت خلال الاعوام الاخيرة ، والتي قدمت لنا شخصيات كاريكاتورية مضحكة مبكية على انها رجال المقاومة الفلسطينية ، حتى كاد الثائر يتحول في مخيلة المشاهد المشمئز من فدائي بمعنى الكلمة ، الى مهرج تافه يثير الاحتقار . (وحمدا لله ان هذه الافلام الفاضحة لم تصدر الى الخارج). وبالاضافة الى المواضيع الدرامية ، توجد السينما الوثائقية : مأساة فلسطين كما سجلتها عدسات مصوري وكالات الانباء والتلفزيون والسينما في العالم في نصف قرن . مأساة فلسطين بالصور والارقام . مأساة فلسطين كما يرويها ابطالها من اللاجئين. انها عشرات المواضيع التي تملأ ارشيفا كاملا . ولكن القضية هنا هي قضية اسبقية وافضلية . ولهذا يأتي أمر تعيين الهدف. هل الفيلم الذي نزمع انتاجه سيكون بالدرجة الاولى للجمهور العربي . ام هل سنضع نصب أعيننا هدف عرضه على جمهور غير جمهورنا ؟

هذا هو ما يجب ان نخطط له منذ البداية . والسؤال المطروح الان هو : هل الفائدة التي سنجنيها من انتاج فيلم فلسطيني لجمهورنا هي اعظم من الفائدة التي سنحصل عليها من وراء عرض فيلم انتج خصيصا للعالم الخارجي ؟ برأيي : كلا . الهدف في الوقت الحاضر يجب ان يكون الجمهور في اوربا وامريكا ، والفيلم الذي نريد تقديمه الى الاجانب يجب ان يكون عملية اعلامية بارعة وليس مجرد عمل حماسي كالذي ينتظره جمهورنا العربي . بعبارة اخرى : هدفنا يجب ان يكون التأثير على العقول وكسب المؤيدين خارج وطننا العربي ، على الاقل في الوقت الحاضر .

هذا الهدف يتطلب منا القيام بعملية غربلة دقيقة جدا للمواضيع المقترحة سعيا وراء الموضوع الاصلح كفاتحة لعملنا السينمائي الملتزم . وبقدر ما يتعلق الامر بي ، فأظن اني عثرت على مبتغاي في كتاب أسعد عبدالرحمن « أوراق سجين — عشرة أشهر في المعتقلات الاسرائيلية » (رقم ٥١ من سلسلة دراسات فلسطينية التي ينشرها مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية) . قرأت هذا الكتاب لاول مرة عام ١٩٦٩ ، وبعد عام على ذلك التاريخ ، علمت بالتأكيد ان هذا الكتاب هو ما أبتغيه ، وذلك للاسباب التالية : ١) ان الكتاب المذكور يتضمن اول تحاجج مباشر (تحاجج وليس حوارا) بين مثقف فلسطيني معتقل وبين سجانيه اليهود ، الخبراء في الضغط وغسل الدماغ . ٢) انه يبين بوضوح الاساليب الدنيئة التي يلجأ اليها الاسرائيليون في معاملة المعتقلين العرب، كالضرب والتعذيب والاهانة . ٣) ان التحاجج بين أسعد وسجانيه يؤدي الى كشف معالم القضية ، واستعراض جوانبها استعراضا شاملا تقريبا ، كما يتضمن الردود التاريخية على المزاعم الصهيونية التي غسل بها العدو دماغ العالم . ٤) ان الكتاب بحد ذاته ، وبغض النظر عن جميع الاعتبارات السياسية والدعائية ، يكون مادة دراماتيكية من الدرجة الاولى ، وذلك لتصويره المجابهة الحادة